
يا بني
لفضيلة الشيخ
محمد نبيه
www.aboarafat.com

يا بني

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾. [1]

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾. [2]

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾. [3]

---

1 آل عمران – الآية 102

2 النساء – الآية 1

3 الأحزاب – الآية 70 ، الآية 71

أما بعد

فبين يديك أيها القارئ الكريم رسالة كتبتها وقد دعمتها بالنصائح والمواعظ من القرآن والسنة وهدي سلف الأمة.

وهذا لألفت بها أولادنا وفلذات أكبادنا إلى طريق الاستقامة والنجاة وقد اخترت لها اسم" يا بني " راجياً الله تعالى أن ينفع بها وأن يجعلها في ميزان والديَّ ومن علموني العلم وساهم في تعليمي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتبه أبو عرفات/ محمد بن نبيه علي ضيف الله

جمهورية مصر العربية – محافظة الشرقية – مركز أبو كبير

يا بني:

اعلم أن من جملة ما نصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته قوله:

« علامة إعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه ، وإن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته ، ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار ».

يا بني:

النصيحة سهلة .. والمشكلة قبولها ، لأنها في مذاق متبع الهوى مرّة ، إذ المناهي محبوبة في قلوبهم على الخصوص لمن كان طالب علم مشتغلاً في فضل النفس ومناقب الدنيا ، فإنه يحسب أن العلم المجرد له سيكون نجاته وخلاصه فيه ، وأنه مستغن عن العمل ، وهذا اعتقاد الفلاسفة " أي العلم بلا عمل ".

سبحان الله العظيم !! لا يعلم هذا القدر أنه حين حصّل العلم إذا لم يعمل به تكون الحجة عليه آكد ، كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه ». [1]

1 قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء 1\3: رواه الطبراني في "الصغير" ، والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف

وروي أن الجنيد رئي في المنام بعد موته ، فقيل له: ما الخبر يا أبا القاسم؟ قال: طاحت العبارات ، وفنيت الإشارات ، وما نفعنا إلا ركعات ركعناها في جوف الليل.

يا بني:

لا تكن من الأعمال مفلساً ، ولا من الأحوال خالياً ، وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ باليد ، مثاله: لو كان على رجل في برية عشرة أسياف هندية مع أسلحة أخرى ، وكان الرجل شجاعاً وأهل حرب ، فحمل عليه أسد عظيم مهيب ، فما ظنك؟ هل تدفع الأسلحة شره عنه بلا استعمالها وضربها !! ، ومن المعلوم أنها لا تدفع إلا بالتحريك والضرب.

فكذا: لو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية وتعلمها ، ولم يعمل بها ، لا تفيده إلا بالعمل.

ومثاله أيضاً: لو كان لرجل حرارة ومرض صفراوي يكون علاجه بالسكنجين والكشكاب فلا يحصل البرء إلا باستعمالهما. (1)

1 السكنجين والكشكاب: دواءان لعلاج الحمى الصفراء.

يا بني:

ولو قرأت العلم مائة سنة ، وجمعت ألف كتاب ، لا تكون مستعدا لرحمة الله تعالى إلا بالعمل لقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ ، وقوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ ، وقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفرعون نزلا ، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾.

وما تقول في الأحاديث؟ « بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ».[1]

والإيمان قول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان.

ودليل الأعمال أكثر من أن يحصى ، وإن كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى وكرمه ، لكن بعد أن يستعد بطاعته وعبادته ، لأن رحمة الله قريب من المحسنين.

---

1 رواه البخاري ومسلم.

ولو قيل أيضاً: يبلغ بمجرد الإيمان ، قلنا: نعم ولكن متى يبلغ؟ وكم من عقبة كئود تستقبله إلى أن يصل؟ وأول تلك العقبات عقبة الإيمان ، أنه هل يسلم من السلب أم لا ، وإذا وصل يكون خائباً مفلساً.

وقال الحسن البصري رحمه الله: " يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة: ادخلوا يا عبادي الجنة برحمتي واقتسموها بقدر أعمالكم ".

يا بني:

ما لم تعمل لم تجد الأجر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا ».[1]

وقال علي رضي الله عنه: " من ظن أنه بدون الجهد يصل فهو متمّن ، ومن ظن أنه ببذل الجهد يصل فهو مستغن ".

وقال الحسن رحمه الله: " طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب " ، وقال: " علامة الحقيقة ترك ملاحظة العمل لا ترك الهمل ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ».[2]

1 روى الترمذي هذا الحديث موقوفاً على عمر بألفاظ مشابهة

2 رواه الترمذي وقال: حديث حسن

يا بني:

كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب ، وحرّمت على نفسك النوم ، لا أعلم ما كان الباعث فيه؟

يا بني:

إن كانت نيتك عرض الدنيا ، وجذب حطامها وتحصيل مناصبها ، والمباهاة على الأقران والأمثال ، فويل لك ثم ويل لك.

وإن كان قصدك فيها إحياء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتهذيب أخلاقك ، وكسر النفس الأمارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك ، ولله من قال:

سهر العيون لغير وجهك ضائع ... وبكاؤهن لغير فقدك باطل

يا بني:

عيش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به.

عن سهل بن محمد رضي الله عنهما قال: " جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ما شئت

فإنك مجزي به ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس ". [1]

يا بني:

العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون.

واعلم أن علماً لا يبعدك اليوم عن المعاصي ، ولا يحملك على الطاعة ، لن يبعدك غداً عن نار جهنم ، وإذا لم تعمل اليوم ، ولم تدارك الأيام الماضية ، تقول غداً يوم القيامة: ﴿رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾.

يا بني:

اجعل الهمة في الروح ، والهزيمة في النفس ، والموت في البدن ، لأن منزلك القبر ، وأهل المقابر ينتظرونك في كل لحظة متى تصل إليهم ، إياك إياك أن تصل إليهم بلا زاد.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: " هذه الأجساد قفص الطيور ، وإسطبل الدواب " .. ففكر في نفسك من أيهما أنت؟

1 رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن ، انظر الترغيب والترهيب 431/1

إن كنت من الطيور العلوية ، فحين تسمع طنين طبل ﴿ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ تطير صاعداً إلى أن تقعد في أعالي بروح الجنان ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ». [1]

والعياذ بالله إن كنت من الدواب كما قال تعالى: ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ ، فلا تأمن انتقالك من زاوية الدار إلى هاوية النار.

يا بني:

لا يشغلك علم الدنيا عن الصلاة لله تعالى في ساعة السحر وهو ينادي: " يا عبادي: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ ". [2]

ألم تسمع ما قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عبد الله: " نعم الرجل هو لو كان يصلي الليل ". [3]

يا بني:

﴿ومن الليل فتهجد به﴾ أمر ، ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ شكر ، ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ ذكر.

---

1 رواه مسلم والبخاري ، والمراد باهتزاز العرش: فرحه بمقدمه

2 جزء من حديث قدسي رواه البخاري ومسلم

3 رواه البخاري ومسلم

قال عليه الصلاة والسلام: « ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى: صوت الديك ، صوت الذي يقرأ القرآن ، وصوت المستغفرين بالأسحار ».[1]

ألم تسمع قول لقمان الحكيم لابنه: " يا بني .. لا يكوننّ الديك أكيس منك ، ينادي بالأسحار وأنت نائم ".

ولقد أحسن من قال شعراً:

لقد هتفت في جنح الليل حمامة ... على فنن وهنا وإني لنائــم
كذبت ودين الله لو كنت عاشقاً ... لما سبقتني بالبكاء الحمائم
وأزعم أني هائم ذو صبابة لربي ... فلا أبكي وتبكي البهائـــــم

يا بني:

ينبغي لك أن يكون قولك وفعلك مطابقاً للشرع ، إذ العلم والعمل بلا اقتداء للشرع ضلالة ، وينبغي لك ألا تغتر بشطح الصوفية وطاماتهم ، لأن سلوك هذا الطريق يكون بالمجاهدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة ، لا بالطامات والترهات.

1 رواه الديملي كما في الكنز 814/15

يا بني:

احرص على أمور أربعة:

أول الأمر: اعتقاد صحيح لا يكون فيه بدعة.

وثاني الأمر: توبة نصوح لا ترجع بعدها إلى الذلة.

وثالث الأمر: استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليك بعد الله منة.

ورابع الأمر: تحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدي به أوامر الله تعالى.

ثم من العلوم الآخرة ما يكون به النجاة.

واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه: « اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها ، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها ، واعمل لله بقدر حاجتك إليه ، واعمل للنار بقدر صبرك عليها ».[1]

يا بني:

إذا علمت هذا الحديث لا حاجة إلى العلم الكثير ، وتأمل في حكاية أخرى ، وهي: أن حاتم الأصم كان من أصحاب شفيق البلخي رحمة الله تعالى عليهما ، فسأله يوماً قال: صاحبتني منذ ثلاثين سنة ما حصّلت؟

---

1 رواه البيهقي بلفظ: " اعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبداً ، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غداً " ، قال المناوي في التيسير 176/1 : رمز المؤلف – يريد السيوطي – لضعفه

قال: حصّلت ثماني فوائد من العلم ، وهي تكفيني منه ، لأني أرجوا خلاصي ونجاتي فيها. فقال شفيق: ما هي؟

قال حاتم:

الفائدة الأولى: إني نظرت إلى الخلق فرأيت لكل منهم محبوباً ومعشوقاً يحبه ويعشقه ، وبعض ذلك المحبوب يصاحبه إلى مرض الموت ، وبعضه يصاحبه إلى شفير القبر ، ثم يرجع كله ، ويتركه فريداً وحيداً ، ولا يدخل معه في قبره منهم أحد.

فتفكرت وقلت: أفضل محبوب المرء ما يدخل معه في قبره ، ويؤنسه فيه ، فما وجدته غير الأعمال الصالحة ، فأخذتها محبوبة لي ، لتكون لي سراجاً في قبري ، وتؤنسني فيه ، ولا تتركني فريداً.

الفائدة الثانية: أني رأيت الخلق يقتدون أهوائهم ، ويبادرون إلى مرادات أنفسهم ، فتأملت قوله تعالي: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ ، وتيقنت أن القرآن حق صادق فبادرت إلى خلاف نفسي وتشمرت بمجاهدتها ، وما متعتها بهواها ، حتى ارتضت بطاعة الله تعالى وانقادت.

الفائدة الثالثة: أني رأيت كل واحد من الناس يسعى في جميع حطام الدنيا ، ثم يمسكه قابضاً بيده عليه ، فتأملت قول الله تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ ، فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لي عند الله تعالى.

الفائدة الرابعة: أني رأيت بعض الخلق يظن أن شرفه وعزه في كثرة الأقوام والعشائر فأعتز بهم.

وزعم آخرون أنه في ثروة الأموال وكثرة الأولاد ، فافتخروا بها.

وحسب بعضهم أن العز والشرف في غصب أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم.

واعتقدت طائفة أنه في إتلاف المال وإسرافه وتبذيره ، فتأملت قول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ، فاخترت التقوى ، واعتقدت أن القرآن حق صادق ، وظنهم وحسبانهم كلها باطل زائل.

الفائدة الخامسة: إني رأيت الناس يذم بعضهم بعضا ، ويغتاب بعضهم بعضا ، فوجدت أصل ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم ، فتأملت في قوله

تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ فعلمت أن القسمة كانت من الله تعالى في الأزل ، فما حسدت أحدا ورضيت بقسمة الله تعالى.

الفائدة السادسة: أني رأيت الناس يعادي بعضهم بعضاً لغرض وسبب ، فتأملت في قوله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ فعلمت أنه لا يجوز عداوة أحد غير الشيطان.

الفائدة السابعة: أني رأيت كل أحد يسعى بجد ، ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش ، بحيث يقع به في شبهة وحرام وبذل نفسه وينقص قدره ، فتأملت في قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ فعلمت أن رزقي على الله تعالى وقد ضمنه ، فاشتغلت بعبادته ، وقطعت طمعي عمّن سواه.

الفائدة الثامنة: أني رأيت كل واحد معتمداً على شيء مخلوق ، بعضهم على الدينار والدرهم ، وبعضهم على المال والملك ، وبعضهم على الحرفة والصناعة ، وبعضهم على مخلوق مثله ، فتأملت قوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا﴾ فتوكلت على الله تعالى فهو حسبي ونعم الوكيل.

فقال شفيق: وفقك الله تعالى إني قد نظرت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، فوجدت الكتب الأربعة تدور على هذه الفوائد الثماني ، فمن عمل بها كان عاملا بهذه الكتب الأربعة.

يا بني:

قد علمت من هاتين الحكايتين أنك لا تحتاج إلى تكثير العلم ، والآن أُبين لك ما يجب على سالك سبيل الحق:

فاعلم أنه ينبغي للسالك شيخ مرشد مرب ، ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ، ويجعل مكانها خلقاً حسناً.

ومعنى التربية يشبه الفلاح الذي يقلع الشوك ، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع لتحسين نباته ، ويكمل ريعه ، ولا بد للسالك من شيخ يربيه ويرشده إلى سبيل الله تعالى لأن الله أرسل للعباد رسولا للإرشاد إلى سبيله فإذا ارتحل صلى الله عليه وسلم فقد خلف الخلفاء في مكانه ، حتى يرشدوا إلى الله تعالى.

وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائبا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه: أن يكون عالما إلا أن كل عالم لا يصلح للخلافة.

وإني أبيّن لك بعض علاماته على سبيل الإجمال؛ حتى لا يدّعي كل أحد أنه مرشد فنقول: من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه ، وكان قد تابع شيخا بصيرا تتسلسل متابعته إلى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وكان محسنا رياضة نفسه من قلة الأكل والقول والنوم وكثرة الصلوات والصدقة والصوم ، وكان بمتابعة الشيخ البصير جاعلا محاسن الأخلاق له سيرة: كالصبر والصلاة والشكر والتوكل واليقين والسخاء والقناعة وطمأنينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوفاء والوقار والسكون والتأني وأمثالها ، فهو إذا نور من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم يصلح للإقتداء به ، ولكن وجود مثله نادر أعز من الكبريت الأحمر.

ومن ساعدته السعادة فوجد شيخا كما ذكرنا ، وقبله الشيخ ، ينبغي أن يحترمه ظاهراً وباطناً:

أما احترام الظاهر: فهو أن لا يجادله ، ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة وإن علم خطأه ، ولا يلقي بين يديه سجّادته إلا وقت أداء الصلاة ، فإذا فرغ من الصلاة يرفعها ، ولا يكثر نوافل الصلاة بحضرته ، ويعمل ما يأمره الشيخ من العمل بقدر وسعه وطاعته.

وأما احترام الباطن: فهو أنّ كل ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن لا فعلا ولا قولا ، لئلا يتّسم بالنفاق ، وإن لم يستطع يترك صحبته إلى أن يوافق باطنه ظاهره.

ويحترز عن مجالسة صاحب السوء ، ليقصر ولاية شياطين الإنس والجن من صحن قلبه ، فيصفي عن لوث الشيطنة ، وعلى كل حال يختار الفقر على الغنى.

ثم اعلم أن التصوف له خصلتان: الاستقامة ، والسكون عن الخلق ، فمن استقام وأحسن خلقه بالناس وعاملهم بالحلم فهو " صوفي ".

والاستقامة أن يفدى حظ نفسه بنفسه.

وحسن الخلق مع الناس: ألا تحمل الناس على مراد نفسك ، بل تحمل نفسك على مرادهم ما لم يخالفوا الشرع.

يا بني:

العبودية :هي المحافظة على أمر الشرع ، والرضاء بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى ، وترك رضاء نفسك في طلب رضاء الله تعالى.

يا بني:

التوكل: هو أن تستحكم اعتقادك بالله تعالى فيما وعد ، يعني تعتقد أن ما قدر لك سيصل إليك لا محالة وإن اجتهد كل من في العالم على صرفه عنك ، وما لم يكتب لك لن يصل إليك ، وإن ساعدك جميع العالم.

يا بني:

الإخلاص: هو أن تكون أعمالك كلها لله تعالى ، ولا يرتاح قلبك بمحامد الناس ولا تبالي بمذمتهم ، واعلم أن الرياء يتولد من تعظيم الخَلقْ.

يا بني:

اعمل بما تعلم ، لينكشف لك ما لم تعلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » [1]

يا بني:

إني أنصحك بثمانية أشياء ، اقبلها مني لئلا يكون علمك خصمك يوم القيامة ، تعمل منها أربعة ، وتدع منها أربعة:

---

1 قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء 1\71: أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه

أما اللواتي تُدع:

فأحدها: ألا تناظر أحدا في مسألة ما استطعت لأن فيها آفات كثيرة ، فإثمها أكبر من نفعها ، إذ هي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها.

نعم ، لو وقع مسألة بينك وبين شخص أو أقوام ، وكانت إرادتك فيها أن تظهر الحق ولا يضيع ، جاز البحث ، لكن لتلك الإرادة علامتان:

إحداهما: ألا تفرّق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك.

والثانية: أن يكون البحث في الخلاء أحبّ إليك من أن يكون في الملأ.

واسمع أني أذكر هاهنا فائدة ، واعلم أن السؤال عن المشكلات عرض مرض القلب إلى الطبيب ، والجواب له سعي لإصلاح مرضه.

واعلم أن الجاهليين: المرضى قلوبهم ، والعلماء: الأطباء ، والعالم الناقص لا يحسن المعالجة ، والعالم الكامل لا يعالج كل مريض ، بل يعالج من يرجوا فيه قبول المعالجة والصلاح ، فإذا كانت العلة مزمنة أو عقيماً لا تقبل العلاج ، فحذاقة الطبيب فيه أن يقول: هذا لا يقبل العلاج ، فلا تشغل فيه بمداواته ، لأن فيه تضييع العمر.

ثم اعلم أن مرض الجهل على أربعة أنواع : أحدها يقبل العلاج ، والباقي لا يقبل.

أما الذي لا يقبل:

فأحدهما: من كان سؤاله واعتراضه عن حسد وبغض ، فكلما تجيبه بأحسن الجواب وأفصحه ، فلا يزيد له ذلك إلا بغضا عداوة وحسدا ، فالطريق ألا تشتغل بجوابه ، فقد قيل:

كل العداوة قد ترجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك عن حسد

فينبغي أن تعرض عنه ، وتتركه مع مرضه ، قال الله تعالى: ﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾.

والحسود بكل ما يقول ويفعل يوقد النار في زرع علمه: « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ».[1]

والثاني: أن تكون علته من الحماقة ، وهو أيضا لا يقبل العلاج كما قال عيسى عليه السلام: إني ما عجزت عن إحياء الموتى ، وقد عجزت عن معالجة الأحمق.

1 قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء 1\45: أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة. وقال البخاري: لا يصح ، وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف ، وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن.

وذلك رجل يشتغل بطلب العلم زمنا قليلا ويتعلم شيئا قليلا من علوم العقل والشرع ، فيسأل ، ويعترض من حماقته على العالم الكبير ، الذي أمضى عمره في العلوم: العقلي والشرعي ، وهذا الأحمق لا يعلم ، ويظن أن ما أشكل عليه هو أيضا مشكل للعالم الكبير ، فإذا لم يعلم هذا القدر يكون سؤاله من الحماقة ، فينبغي ألا يشتغل بجوابه.

والثالث: أن يكون مسترشداً ، وكل ما لا يفهم من كلام الأكابر يحمل على قصور فهمه ، وكان سؤاله للاستفادة ، لكن لكونه بليدا لا يدرك الحقائق ، فلا ينبغي الاشتغال بجوابه أيضا ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقوله ».[1]

وأما المرض الذي يقبل العلاج ، فهو أن يكون مسترشدا عاقلا فهما لا يكون مغلوب الحسد والغضب وحب الشهوة والجاه والمال، ويكون طالب طريق المستقيم ، ولم يكن سؤاله واعتراضه عن حسد ، وتعنّت وامتحان ، وهذا يقبل العلاج ، فيجوز أن تشتغل بجواب سؤاله بل يجب عليك إجابته.

1 قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء 1\57: رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر أخصر منه وعند أبي داود من حديث عائشة :" أنزلوا الناس منازلهم".

والثاني مما تدع: وهو أن تحذر وتحترز من أن تكون واعظا ومذكرا؛ لأن آفته كثيرة إلا أن تعمل بما تقول أولا ، ثم تعظ به الناس ، فتفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام: " يا ابن مريم عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس ، وإلا فاستح من ربك ".

وإن ابتليت بهذا العمل فاحترز عن خصلتين:

الأولى: عن التكلف في الكلام بالعبارات والإشارات والطامات والأبيات والأشعار ، لأن الله تعالى يبغض المتكلفين ، والمتكلف المتجاوز عن الحد ، يدل على خراب الباطن وغفلة القلب.

ومعنى التذكير: أن يذكر العبد نار الآخرة ، وتقصير نفسه في خدمة الخالق ويتفكر في عمره الماضي الذي أفناه فيما لا يعنيه ويتفكر فيما بين يديه من العقبات من عدم سلامة الإيمان في الخاتمة ، وكيفية حاله في قبض ملك الموت ، وهل يقدر على جواب منكر ونكير؟

ويهتم بحاله في القيامة ومواقفها ، وهل يعبر عن الصراط سالما أم يقع في الهاوية.

ويستمر ذكر هذه الأشياء في قلبه ، فيزعجه عن قراره ، فغليان هذه النيران ، وتوجه هذه المصائب يسمّى تذكيرا ، وإعلام الخلق واطلاعهم على هذه الأشياء ، وتنبيههم على تقصيرهم وتفريطهم ، وتبصيرهم بعيوب أنفسهم لتمسّ حرارة هذه النيران أهل المجلس ، وتجزعهم تلك المصائب ليتداركوا العمر الماضي بقدر الطاقة ، ويتحسّروا على الأيام الخالية في غير طاعة لله تعالى.

هذه الجملة على هذا الطريق تسمى وعظا ، كما لو رأيت أن السيل قد هجم على دار أحد ، وكان هو وأهله فيها فتقول: الحذر الحذر فروا من السيل !! وهل يشتهي قلبك في هذه الحالة أن تخبر صاحب الدار خبرك بتكلف العبارات ، والنكت والإشارات؟ فلا يشتهي البتة ، فكذلك حال الواعظ فينبغي أن يجتنبها.

الخصلة الثانية: ألا تكون همّتك في وعظك أن ينفر الخلق في مجلسك ويظهروا الوجد ، ويشقوا الثياب ، ليقال: نعم المجلس هذا ، لأن كله ميل للدنيا والرياء ، وهو يتولد من الغفلة ، بل ينبغي أن يكون عزمك وهمّتك أن تدعو الناس من الدنيا إلى الآخرة ، ومن المعصية إلى الطاعة ، ومن الحرص إلى الزهد ، ومن البخل إلى السخاء ، ومن الغرور إلى التقوى ، وتحبب إليهم

الآخرة ، وتبغّض إليهم الدنيا ، وتعلمهم علم العبادة والزهد ، لأن الغالب على طباعهم الزيغ عن نهج الشرع ، والسعي فيما لا يرضى الله تعالى به ، والاشتغال بالأخلاق الرّدية ، فألق في قلوبهم الرعب ، وروّعهم ، وحذرهم عما يستقبلون من المخاوف ، لعل صفات باطنهم تتغير ، ومعاملة ظاهرهم تتبدل ، ويظهروا الحرص والرغبة في الطاعة والرجوع عن المعصية ، وهذا طريق الوعظ والنصيحة ، وكل وعظ لا يكون هكذا فهو وبال على من قال ويسمع ، بل قيل: إنه غول وشيطان ، يذهب بالخلق عن الطريق ويهلكهم ، فيجب عليهم أن يفروا منه ، لأن ما يفسد هذا القائل من دينهم ، لا يستطيع بمثله الشيطان ، ومن كان له يد وقدرة يجب عليه أن ينزله عن منابر المسلمين ويمنعه عما باشر ، فإنه من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والثالث مما تدع: أنه لا تخالط الأمراء والسلاطين ولا ترهم ، لأن رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة ، ولو ابتليت بها دع عنك مدحهم وثناءهم ، لأن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق والظالم ، ومن دعا لطول بقائهم فقد أحبّ أن يعصى الله في أرضه.

والرابع مما تدع: ألا تقبل شيئا من عطاء الأمراء وهداياهم وإن علمت أنها من الحلال ، لأن الطمع منهم يفسد الدين ، لأنه يتولد من المداهنة ، ومراعاة جانبهم والموافقة في ظلمهم ، وهذا كله فساد في الدين ، وأقلّ مضرّته أنك إذا قبلت عطاياهم ، وانتفعت من دنياهم أحببتهم ، ومن أحبّ أحدا يحب طول عمره ، وبقاءه بالضرورة ، وفي محبة بقاء الظالم إرادة في الظلم على عباد الله تعالى ، وإرادة خراب العالم ، فأي شيء يكون أضر من هذا على الدين والعاقبة.

وإياك وإياك أن تخدع باستهواء الشياطين أو قول بعض الناس لك: بأن الأفضل والأولى أن تأخذ منهم الدينار والدهم ، وتفرّقها بين الفقراء والمساكين؛ فإنهم ينفقون على الفسق والمعصية ، وإنفاقك على ضعفاء الناس خير من إنفاقهم ، فإن اللعين قد قطع أعناق كثير من الناس بهذه الوسوسة وآفته كثيرة ، ذكرناها في إحياء العلوم فاطلبه منها.

وأما الأربعة التي ينبغي لك أن تفعلها:

الأول: أن تجعل معاملتك مع الله تعالى ، بحيث لو عامل بها عبدك معك ترضى بها منه ، ولا يضيق خاطرك عليه ولا تغضب ، والذي لا ترضى به لنفسك من عبدك المجازيّ فلا ترضى أيضا لله تعالى وهو سيدك الحقيقي.

والثاني: كلما عملت بالناس اجعله كما ترضى لنفسك منهم ، لأنه لا يكمل إيمان عبد حتى يحبّ لسائر الناس ما يحبّ لنفسه.

والثالث: إذا قرأت العلم أو طالعته ، ينبغي أن يكون علمك علما يصلح قلبك ويزكي نفسك ، كما لو علمت أن عمرك ما يبقى غير أسبوع ، فبالضرورة لا تشتغل فيها بعلم الفقه والخلاف والأصول والكلام وأمثالها ، لأنك تعلم أن هذه العلوم لا تغنيك ، بل تشتغل بمراقبة القلب ، ومعرفة صفات النفس ، والإعراض عن علائق الدنيا ، وتزكي نفسك عن الأخلاق الذميمة وتشتغل بمحبة الله تعالى وعبادته ، والاتصاف بالأوصاف الحسنة ، ولا يمر على عبد يوم وليلة إلا ويمكن أن يكون موته فيه.

يا بني:

لا تكن همتك تحسين المناظر وحسن عملك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم ».[1]

والرابع: ألا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدّ ذلك لبعض حجراته ، وقال: « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا ».[2]

ولم يكن يعدّ بعد ذلك لكل حجراته بل كان يعدّه لمن علم أن في قلبها ضعفا ، وأما من كانت صاحبة يقين فما كان يعدّ لها أكثر من قوت يوم ونصف.

يا بني:

تيقن أنك لا تصل إلا بالسير لقوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا﴾.

1 رواه مسلم

2 رواه مسلم

يا بني:

إياك والكذب واعلم أن: الكذوب لا حيلة له ، والحسود لا راحة له ، والبخيل لا مروءة له ، والملول لا وفاء له ، ولا يسود سيء الأخلاق ، ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم ويتجمل ، " الأمالي لأبي علي القالي ".

يا بني:

لك وصية أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال فطر بن خليفة عن عبد الرحمن بن سابط قال: أوصى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب رحمه الله حين استخلفه فقال: " إني مستخلفك ، وأوصيك بتقوى الله يا عمر ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، واعلم أنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة وأنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق ، ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا ، ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً ، إن الله جل ذكره ذكر أهل الجنة بحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم فقل إني لأخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار بسوء أعمالهم ، فإذا ذكرتهم فقل إني

لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على على الله غير الحق ، ولا يلقي بيده إلى التهلكة ، فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت ولست بمعجزه ".

يا بني:

لك وصية عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال فطر بن خليفة وغيره: دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته عبد الله بن عمر فقال: " أي بني: إذا قام الخليفة بعدي فائته فقل إن عمر يقرأ عليك السلام ويوصيك بتقوى الله لا شريك له ، ويوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً: أن تعرف لهم سابقتهم ، ويوصيك بالأنصار خيراً: أن تقبل من محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم ، ويوصيك بأهل الأمصار خيراً: فإنهم غيظ العدو وجباة الفيء ، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم ، ويوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام: أن تأخذ من حواشي أموالهم فترد على فقرائهم، ويوصيك بأهل الذمة خيراً: أن تقاتل من ورائهم ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم ".

يا بني:

لك وصية علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال لوط بن يحيى: حدثني عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب أسأل عنه حين ضربه ابن ملجم لعنه الله ، فقمت ولم أجلس لمكان ابنة له دخلت عليه وهي مستترة ، فدعا الحسن والحسين رحمهما الله فقال: " إني أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء منها زوي عنكما ، قولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعينا الضالع ، واصنعا للآخرة ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم ، ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال له: فهمت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم. قال: أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، وتزيين أمرهما ، ولا تقطع أمراً دونهما ثم قال: وأوصيكما به فإنه شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباه كان يحبه فأحباه ". (1)

1 من كتاب التعازي والمراثي للمبرد

يا بني:

كن من الصائمين بالنهار ، والمستغفرين بالأسحار ، والذاكرين الله على كل حال ، ولا تشرب الخمر ، ولا تعقق والديك ، ولا تأكل مال اليتيم ، ولا تفر من الزحف ، ولا تأكل الربا ، ولا تدع الصلاة المكتوبة ، وصل رحمك لله ، وكن بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، وأنا لك بالجنة زعيم ، ثم انصح لأولي الأمر ولا تغشهم ، ولا تلهك الدنيا واعلم يا بني أن أكيس الناس أطوعهم لله ، وأعملهم ليوم ميعاده ، ويا بني تب إلى الله من ذنوبك توبة نصوحا ، فإن عبداً لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له ، ولا تنسى ديوني ، فإن العبد مرتهن بدينه ، ولا تهجر إخوانك ، فلا ينبغي للمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث ، والذنب في ذلك عظيم.

يا بني:

يا بني لك وصية الخطاب بن المعلى المخزومي عن الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي أنه وعظ ابنه فقال يا بني عليك بتقوى الله وطاعته وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه حتى تصح عيوبك وتقر عينك فإنها لا تخفي على الله خافيه وإني قد وسمت لك وسما ووضعت لك رسما إن أنت حفظته ووعيته

وعملت به ملأت أعين الملوك وانقاد لك به الصعلوك ولم تزل مرتجى مشرفا يحتاج إليك ويرغب إلى ما في يديك فأطع أباك واقتصر على وصية أبيك وفرغ لذلك ذهنك واشغل به قلبك ولبك وإياك وهذر الكلام وكثرة الضحك والمزاح ومهازلة الإخوان فإن ذلك يذهب البهاء ويوقع الشحناء وعليك بالرزانة والتوقر من غير كبر يوصف منك ولا خيلاء تحكي عنك والق صديقك وعدوك بوجه الرضى وكف الأذى من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وكن في جميع أمورك في أوسطها فإن خير الأمور أوساطها وقلل الكلام وأفش السلام وامش متمكنا قصدا ولا تخط برجلك ولا تسحب ذيلك ولا تلو عنقك ولا ردائك ولا تنظر في عطفك ولا تكثر الالتفاف ولا تقف على الجماعات ولا تتخذ السوق مجلسا ولا الحوانيت متحدثا ولا تكثر المراء ولا تنازع السفهاء فإن تكلمت فاختصر وإن مزحت فاقتصر وإذا جلست فتربع وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها والعبث بلحيتك وخاتمك وذؤابة سيفك وتخليل أسنانك وإدخال يدك في أنفك وكثرة طرد الذباب عنك وكثرة التثاؤب والتمطى وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ويغتمزون به فيك وليكن مجلسك هاديا وحديثك مقسوما وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك بغير إظهار عجب منك ولا مسألة إعادة

وغض عن الفكاهات من المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا عن فرسك ولا عن سفيك وإياك وأحاديث الرؤيا فإنك إن أظهرت عجبا بشيء منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك الأحلام واغتمزوا في عقلك ولا تصنع تصنع المرأة ولا تبذل تبذل العبد ولا تهلب لحيتك ولا تبطنها وتوق كثرة الحف ونتف الشيب وكثرة الكحل والإسراف في الدهن وليكن كحلك غبا ولا تلح في الحاجات ولا تخشع في الطلبات ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم عدد مالك فإنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم وإن كان كثيرا لم تبلغ به رضاهم وأخفهم في غير عنف ولن لهم قي غير ضعف ولا تهازل أمتك وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عن عجلتك وتفكر في حجتك وأر الحاكم شيئا من حلمك ولا تكثر الإشارة بيدك ولا تحفز على ركبتيك وتوق حمرة الوجه وعرق الجبين وإن سفه عليك فاحلم وإذا هدأ غضبك فتكلم وأكرم عرضك وألق الفضول عنك وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان وإن أسترسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك وأرفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهي ولا يحملنك ما ترى من الطافه إياك وخاصته بك أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه وإن كان لذلك منك

مستمعا وللقول منك مطيعا فإن سقطه الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض وزلة لا تقال وإذا وعدت فحقق وإذا حدثت فاصدق ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم ولا تخافت به كتخافت الأخرس وتخير محاسن القول بالحديث المقبول وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله وإياك الأحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب وتفق لها الجلود وإياك ومضعف الكلام مثل نعم نعم ولا لا وعجل عجل وما أشبه ذلك وإذا توضأت فأجد عرك كفيك وليكن وضعك الحرض من الأشنان في فيك كفعلك بالسواك ولا تنخع في الطست وليكن طرحك الماء من فيك مترسلا ولا تمج فتنضح على أقرب جلسائك ولا تعض نصف اللقمة ثم تعيد ما بقى منها منصبغا فإن ذلك مكروه ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ولا تعبث بالمشاش ولا تعب شيئا مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة ولا تمسك إمساك المثبور ولا تبذر تبذير السفيه المغرور واعرف في مالك واجب الحقوق وحرمة الصديق واستغن عن الناس يحتاجوا إليك واعلم أن الجشع يدعو إلى الطبع والرغبة كما قيل تدق الرقبة ورب أكله تمنع أكلات والتعفف مال جسيم وخلق كريم ومعرفة الرجل قدره تشرف ذكره ومن

تعدى القدر هوى في بعيد القعر والصدق زين والكذب شين ولصدق يسرع عطب صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ولقرب ملك جواده خير من مجاورة بحر طراد وزوجة السوء الداء العضال ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه وطاعة النساء تزرى بالعقلاء تشبه بأهل العقل تكن منهم وتصنع للشرف تدركه وأعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه وإنما ينسب الصانع إلى صناعته والمرء يعرف بقرينه وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ويحزنون من صادقهم وقربهم أعدى من الجرب ورفضهم من استكمال الأدب واستخفار المستجير لؤم والعجلة شؤم وسوء التدبير وهن والإخوان اثنان فمحافظ عليك عند البلاء وصديق لك في الرخاء فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية فإنهم أعدى الأعداء ومن اتبع الهوى مال به الردى ولا يعجبنك الجهم من الرجال ولا تحقر ضئيلا كالخلال فإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه وتوق الفساد وإن كنت في بلاد الأعادي ولا تفرش عرضك لمن دونك ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام وامنح البشر جليسك والقبول ممن

لاقاك وإياك وكثرة التبريق والتزليق فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث وإياك والتصنع لمغازلة النساء وكن متقربا متعززا منتهزا في فرصتك رفيقا في حاجتك متثبتا في حملتك والبس لكل دهر ثيابه ومع كل قوم شكلهم واحذر ما يلزمك اللائمة في آخرتك ولا تعجل في أمر حتى تنظر في عاقبته ولا ترد حتى ترى وجه المصدر وعليك بالنورة في كل شهر مرة وإياك وحلاق الإبط بالنورة وليكن السواك من طبيعتك وإذا استكت فعرضا وعليك بالعمارة فإنها أنفع التجارة وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك ومن أكرم عرضه أكرمه الناس وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ومعرفة الحق من أخلاق الصدق والرفيق الصالح ابن عم ومن أيسر أكبر ومن افتقر احتقر قصر في المقالة مخافة الإجابة والساعي إليك غالب عليك وطول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة وليس للغائب صديق ولا على الميت شفيق وأدب الشيخ عناء وتأديب الغلام شقاء والفاحش أمير والوقاح وزير والحليم مطية الأحمق والحمق داء لا شفاء له والحلم خير وزير والدين أزين الأمور والسماجه سفاهة والسكران شيطان وكلامه هذيان والشعر من السحر والتهدد هجر والشح شقاء والشجاعة بقاء والهدية من الأخلاق السرية وهي تورث المحبة ومن ابتدأ

المعروف صار دينا ومن المعروف ابتداء من غير مسألة وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ولرياء بخير خير من معالنة بشر والعرق نزاع والعادة طبيعة لازمة إن خير فخير وإن شرا فشر ومن حل عقدا احتمل حقدا ومراجعة السلطان خرق بالإنسان والفرار عار والتقدم مخاطرة وأعجل منفعة إيثار في دعة وكثرة العلل من البخل وشر الرجال الكثير الاعتلال وحسن اللقاء يذهب بالشحناء ولين الكلام من أخلاق الكرام.

يا بني:

إن زوجة الرجل سكنه ولا عيش له مع خلافها فإذا هممت بنكاح امرأة فسل عن أهلها فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة واعلم أن النساء أشد اختلافا من أصابع الكف فتوق منهن كل ذات بذا مجبولة على الأذى فمنهن المعجبة بنفسها المزرية ببعلها إن أكرمها رأته لفضلها عليه لا تشكر على جميل ولا ترضى منه بقليل لسانها عليه سيف صقيل قد كشفت القحة ستر الحياء عن وجهها فلا تستحي من إعوازها ولا تستحي من جارها كلبة هرارة مهارشة عقارة فوجه زوجها مكلوم وعرضه مشتوم ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين حجابه مهتوك وستره منشور وخيره مدفون يصبح كئيبا

ويمسي عاتبا شرابه مر وطعامه غيظ وولده ضياع وبيته مستهلك وثوبه وسخ ورأسه شعث إن ضحك فواهن وإن تكلم فمتكاره نهاره ليل وليله ويل تلدغه مثل الحية العقارة وتلسعه مثل العقرب الجرارة ومنهن شفشليق شعشع سلفع ذات سم منقع وإبراق واختلاق تهب مع الرياح وتطير مع كل ذي جناح إن قال لا قالت نعم وإن قال نعم قالت لا مولدة لمخازيه محتقرة لما في يديه تضرب له الأمثال وتقصر به دون الرجال وتنقله من حال إلى حال حتى قلا بيته ومل ولده وغث عيشه وهانت عليه نفسه وحتى أنكره إخوانه ورحمه جيرانه ومنهن الورهاء الحمقاء ذات الدل في غير موضعها الماضغة للسانها الآخذة في غير شأنها قد قنعت بحبه ورضيت بكسبه تأكل كالحمار الراتع تنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت ولم يكنس لها بيت طعامها بائت وإناؤها وضر وعجينها حامض وماؤها فاتر ومتاعها مزروع وماعونها ممنوع وخادمها مضروب وجارها محروب ومنهن العطوف الودود المباركة الولود المأمونة على غيبها المحبوبة في جيرانها المحمودة في سرها وإعلانها الكريمة التبعل الكثيرة التفضل الخافضة صوتا النظيفة بيتا خادمها مسمن وابنها مزين وخيرها دائم وزوجها ناعم مومومقه مالوفه وبالعفاف والخيرات موصوفة

جعلك الله يا بني ممن يقتدي بالهدى ويأتم بالتقى ويجتنب السخط ويحب الرضى والله خليفتي عليك والمتولي لأمرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا. [1]

يا بني:

ألم تسمع وصية آل البيت لبنيهم: جلس جعفر الصادق وموسى الكاظم بين يديه وهو يوصيه بوصية: فقال يا بني: اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيدا وتموت حميدا يا بني من رضي بما قسم له استغنى ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيرا ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغي قتل به ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم يا بني إياك أن تزري بالرجال فيزرى بك وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك يا بني قل الحق لك أو عليك تستشان من بين أقرانك.

1 روضة العقلاء 1 / 198

يا بني:

كن لكتاب الله تاليا وللإسلام فاشيا وبالمعروف آمرا وعن المنكر ناهيا ولمن قطعك واصلا ولمن سكت عنك مبتدئا ولمن سألك معطيا وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال وإياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف.

يا بني:

يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه فإن للجود معادن وللمعادن أصولا وللأصول فروعا وللفروع ثمرا ولا يطيب ثمر إلا بأصول ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب.

يا بني:

إن زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار فإنهم صخرة لا ينفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها قال علي بن موسى فما ترك أبي هذه الوصية إلى أن توفي.

يا بني:

تقوى الله هي القياس روى أبو نعيم عن عبد الله بن شبرمة قال دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد فقال لابن أبي ليلى من هذا معك قال هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين قال لعله يقيس أمر الدين برأيه قال نعم قال فقال جعفر لأبي حنيفة ما اسمك قال نعمان قال يا نعمان هل قست رأسك بعد قال كيف أقيس رأسي قال ما أراك تحسن شيئا هل علمت ما الملوحة في العينين والمرارة في الأذنين والحرارة في المنخرين والعذوبة في الشفتين قال لا قال ما أراك تحسن شيئا قال فهل علمت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان فقال ابن أبي ليلى يا ابن رسول الله أخبرنا بهذه الأشياء التي سألته عنها فقال أخبرني أبي عن جدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى بمنه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمتان ولولا ذلك لذابتا وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الأذنين حجابا من الدواب فإن دخلت الرأس دابة والتمست إلى الدماغ فإذا ذاقت المرارة التمست الخروج وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق بهما الريح ولولا ذلك لأنتن الدماغ وإن الله تعالى بمنه

وكرمه ورحمته لابن آدم جعل العذوبة في الشفتين يجد بهما استطعام كل شيء ويسمع الناس بها حلاوة منطقه قال فأخبرني عن الكلمة التي أولها كفر وآخرها إيمان فقال إذا قال العبد لا إله فقد كفر فإذا قال إلا الله فهو إيمان ثم أقبل على أبي حنيفة فقال يا نعمان حدثني أبي عن جدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس قال الله تعالى له اسجد لآدم فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس لأنه اتبعه بالقياس زاد ابن شبرمة في حديثه ثم قال جعفر أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا قال قتل النفس قال فإن الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة ثم قال أيهما أعظم الصلاة أم الصوم قال الصلاة قال فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فكيف ويحك يقوم لك قياسك اتق الله ولا تقس الدين برأيك.

يا بني:

الأنفاس معدودة: وعظ أعرابي ابنه فقال: لا الدهر يعظك ولا الأيام تنذرك والساعات تعد عليك والأنفاس تعد منك أحب أمريك إليك أردهما بالمضرة عليك ووجد على حجر مكتوب: ابن آدم لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت

في طول أملك ولرغبت في الزيادة في عملك ولقصرت من جهلك وحيلك وإنما يلقاك ندمك إذا زلت قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وباعدك الولد القريب ورفضك الولد والنسيب فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة. [1]

يا بني:

إنك لم تكلف من الدنيا إلا نفساً واحدة فان أنت أصلحتها لم يضرك فساد من فسد بصلاحها وان أنت أفسدتها لم تنتفع بصلاح من صلح بفسادها واعلم انك لا تسلم من الدنيا حتى لا تبالي من أكلها من احمر أو اسود. [2]

يا بني:

أحسن الظن بإخوانك: ورد عن سعيد بن المسيب ، قال: كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وأنت تجد له في الخير محملا ، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه ، ومن كتم سره كانت الخيرة في يديه ، وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن

1 الياقوتة 1 / 115

2 تهذيب الكمال 33 / 10

تطيع الله فيه ، وعليك بإخوان الصدق ، فكثر في اكتسابهم ، فإنهم زينة في الرخاء ، وعدة عند عظيم البلاء ، ولا تهاون بالحلف فيهينك الله ، ولا تسألن عما لم يكن حتى يكون ، ولا تضع حديثك إلا عند من يشتهيه ، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خشي الله عز وجل ، وشاور في أمرك الذين يخشون ربهم بالغيب " وقد روينا بعض هذه الألفاظ عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه. [1]

يا بني:

عليك بقول عبد الله بن مسعود حيث قال: إن أصدق الحديث كتاب الله عزوجل وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة إبراهيم وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم وخير الهدى هدى الأنبياء وأشرف الحديث ذكر الله وخير القصص القرآن وخير الأمور عواقبها وشر الأمور محدثاتها وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ونفس تنجيها خير من أمارة لا تحصيها وشر العذيلة حين يحضر الموت وشر الندامة ندامة القيامة وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى وخير ما ألقى في القلب

1 شعب الإيمان للبيهقي برقم 8114

اليقين والريب من الكفر وشر العمى عمى القلب والخمر جماع كل إثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والنوح من عمل الجاهلية ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبرا ولا يذكر الله إلا هجرا وأعظم الخطايا الكذب وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يغفر يغفر الله له ومن يصبر على الرزية يعقبه الله وشر المكاسب كسب الربا وشر المأكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن أمه وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه وإنما يصير إلى أربعة أذرع والأمر إلى آخرة وملاك العمل خواتمه وشر الروايا روايا الكذب وأشرف الموت قتل الشهداء ومن يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرفه ينكر ومن يستكبر يضعه ومن يتولى الدنيا تعجز عنه ومن يطع الشيطان يعص الله ومن يعص الله يعذبه.[1]

يا بني:

تخلق بأخلاق شباب الإسلام وكن غيورا على دينك وإياك ومجون الجنس الثالث الذين لا يعرفون إلا الشهوات والشيطان.

---

1 حلية الأولياء 1 / 138

يا بني:

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني، اقبل وصيتي وعهدي، إن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار، كسرعة اختلاط قطر المطر بماء الأنهار؛ وبعد قلوب الفجار من الائتلاف، كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلا فها على أرى واحد؛ كن يا بني بصالح الوزراء أغنى منك بكثرة عدتهم، فإن اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها، والحجر فادح حمله قليل غناؤه. [1]

يا بني:

اخلع رداء الكبر عن عاتقك وضع تاج الهيبة عن رأسك وانزع قميص التجبر عن جسدك وفتش نفسك وانشر سرك وألق جلباب الحياء عن وجهك مستكينا بين يدي ربك فأنا واعظك عن الحق فكن مستمعا بحسن القبول فينفعني الله بما أقول وينفعك بما تسمع واعلم أن الله جل ثناؤه امتحنك بالنعم وابتلاك بالشكر ففضل النعمة أحسن لتستغرق بقليلها كثيرا من شكرك فكن لله تعالى شاكرا ولآلائه ذاكرا تستحق منه المزيد واتق الله في السر والعلانية تستكمل الطاعة واسمع لقائل الحق وإن كان دونك تشرف عند الله وتزد في

1 روضة العقلاء

عين رعيتك واعلم أن الله سبحانه وتعالى يفتش سرك فإن وجده بخلاف علانيتك شغلك بهم الدنيا واستغنى الله والله غني حميد وإن وجده موافقا لعلانيتك أحبك وصرف هم الدنيا عن قلبك وكفاك مؤونة نظرك لغيرك وترك لك نظرك لنفسك وكان المقوي لسياستك ولن تطاع إلا بطاعتك لله تعالى فكن له طائعا تكتسب بذلك السلامة في العاجل وحسن المنقلب في الآجل ﴿فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾.

يا بني:

احذر الله حذر عبد علم مكان عدوه وغاب عنه وليه فتيقظ خوف السرى لا تأمن من مكر الله لتواتر نعمه عليك فإن ذلك مفسدة لك وذهاب لدينك وأسقط المهابة في الأولين والآخرين وعليك بكتاب الله الذي لا يضل المسترشد به ولن تهلك ما تمسكت به فاعتصم بالله تجده تجاهك وعليك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تكن على طريقة الذين هداهم الله فبهداهم اقتده وكن لله كما تحب أن يكون لك أولياؤك من العامة من السمع والطاعة فإنه « ما ولي أحد على عشرة من المسلمين فلم يحطهم بنصيحة إلا جاء يوم القيامة ويده مغلولة إلى عنقه لا يفكها إلا عدله ».

يا بني:

اقبل الحق ممن جاءك به وإن كان بعيدا بغيضا واردد الباطل على من جاءك به وإن كان حبيبا قريبا وآخ الإخوان على قدر تقواهم ولا تجعل لسانك بذلة لمن لا يرى فيه ولا تغبط الحي إلا بما تغبط الميت.

يا بني:

إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشك ولكن القه وقل له بلغني عنك كذا وكذا وأجدر أن تسمى من بلغك فإن أنكر ذلك فقل له أنت أصدق وأبر ولا تزيدن على ذلك شيئا وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجها بعذر فاقبل منه وإن لم يرد ذلك فقل له ماذا أردت بما بلغني عنك فإن ذكر ماله وجه من العذر فاقبله وإن لم يذكر لذلك وجها لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ اثبتها عليه سيئة أتاها ثم أنت في ذلك بالخيار إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة وإن شئت عفوت عنه والعفو أبلغ للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك ولا تبخس باقي إحسانه السالف بهذه السيئة فإن ذلك

الظلم بعينه فشعار الرجل الصالح " رحم الله من كافأني على إساءتي من غير أن يزيد ولا يبخس حقا لي ".

يا بني:

إذا كان لك صديق فشد يديك به فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل وقد كان الرجل الصالح يشبه سهولة مفارقة الصديق بصبي يطرح في البئر حجرا عظيما فيسهل طرحه عليه ويصعب إخراجه على الرجال.

يا بني:

الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط.

يا بني:

رضي الناس غاية لا تدرك وليس لي إلى السلامة من سبيل فعليك بما ينفعك فالزمه.

يا بني:

قبول السعاية أضر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز والساعي ممقوت إذا كان صادقا لهتكه العورة وإضاعته الحرمة ومعاقب إن كان كاذبا لمبارزته الله بقول البهتان وشهادة الزور.

يا بني:

نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن النطق به فإن المستمع شريك القائل وإن السفيه ينظر إلى أخبث شيء في وعائه فيحرص أن يفرغه في وعائك ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها.

يا بني:

أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان.

يا بني:

ليس العلم ما حفظ بل العلم ما نفع.

يا بني:

اعلم أن من تعلم القرآن جل في عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم النحو هيب ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جل رأيه

ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن لم يضر نفسه لم ينفعه علمه وملاك ذلك كله التقوى.

يا بني:

اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

يا بني:

احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر وكل من به عاهة في بدنه وكل ناقص الخلق فاحذره فان فيه التواء ومخالطته معسرة.

يا بني:

إنك ما رفعت أحدا فوق منزلته إلا وضع منك بمقدار ما رفعت منه.

فاللهم إني أسألك من النعمة تمامها ، ومن العصمة دوامها ، ومن الرحمة شمولها ، ومن العافية حصولها ، ومن العيش أرغده ، ومن العمر أسعده ومن الإحسان أتمه ، ومن الإنعام أعمّه ، ومن الفضل أعذبه ، ومن اللطف أقربه.

اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، اللهم اختم بالسعادة آجالنا ، وحقق بالزيادة آمالنا ، واقرن بالعافية غدوّنا وآصالنا ، واجعل إلى رحمتك مصيرنا ومآلنا ، واصبب سجال عفوك على ذنوبنا ، ومنّ علينا بإصلاح عيوبنا ، واجعل التقوى زادنا ، وفي دينك اجتهادنا ، وعليك توكلنا واعتمادنا.

اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة ، وأعذنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة ، وخفف عنا ثقل الأوزار ، وارزقنا عيشة الأبرار ، واكفنا واصرف عنا شرّ الأشرار ، واعتق رقابنا ، ورقاب آبائنا ، وأمّهاتنا ومشايخنا من النار ، برحمتك يا عزيز يا غفار ، يا كريم يا ستّير ، يا تواب يا الله .. يا الله .. يا الله .. يا رحيم ، يا رحيم ، يا أرحم الراحمين ويا أول الأولين ، ويا آخر الآخرين ، ويا ذا القوة المتين ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين والحمد لله رب العالمين.

كتبه أبو عرفات/ محمد بن نبيه علي ضيف الله